المحاضرة رقم: 02

البنيـــــوية

إن البداية المنهجية للفكر البنيوي في اللغة كانت بناء على أفكار العالم السويسري "دي سوسير"، الذي كرس إرهاصات الفكر البنيوي في محاضراته حول اللسانيات العامة. فتحدث عن مجموعة من الثنائيات المتقابلة الأساسية لوصف اللغة وهي: ثنائية (اللغة/الكلام)، ثنائية (تزامن (أني سانكروني)/تاريخي (تعاقبي، ديانكروني)، ثنائية (الدال والمدلول)، ثنائية (علم اللغة الداخلي مرتبط بقوانين اللغة ذاتها، علم اللغة الخارجي مرتبط بالجوانب السياقية).

ومن بين المدارس التي أهمت في تشكيل الفكر البنيوي نذكر المدرسة الشكلانية الروسية في العقد الثاني من القرن العشرين، إذ ركزت هذه المدرسة على دراسة الشكل الأدبي، ودلالاته، وطريقتها في تحليل مفهوم الشكل قريبة ومشابهة كثيرا لمفهوم البنية.

ولكن للأسف، لم يتم الكشف عن نصوص الشكلانيين الروس وقيمتها العلمية، إلا بعد فترة طويلة بفعل التيار الذي أحدثته المدرسة البنيوية، وهناك رد الاعتبار لمبادئ الشكلانية الروسية.

كانت هناك شخصية روسية ساهمت بشكل مباشر في التنظيم والربط بين الاتجاهات الغربية في النصف الأول من ق 20 وهي شخصية (رومان جاكبسون)، فقد بدأ مع الشكلانيين ثم انتقل كعضو في حلقة براغ اللغوية في العقد الثالث من ق 20، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الرابع والخامس من ق 20، وهذا ما ساهم في تطوير الفكر البنيوي بين القارات الثلاث، وهذا بظهور النقد الجديد الأنثروبولوجي في أمريكا بقيادة العالم "ليفي ستراوس" الذي تيقن من أن المنهج التاريخي والتحليلي غير كاف لدراسة البنى الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية فاضطر إلى الاستعانة بالبنيوية اللغوية مرافقة مع (رومان جاكبسون) فقاما بتحليل قصيدة "سونيت القطط للشاعر الفرنسي بودلير"، وكان تحليلا بنيويا جديدا يسفر على ميلاد المنهج البنيوي في النقد العالمي الحديث.

أ.د سعدية بن ستيتي

مبادئ البنيوية:

1- ضرورة التخلي عن المحور التاريخي في الدراسات الأدبية، والبحث عن محور آخر في المقابل وهو البحث في الأدب كنظام في حد ذاته، وكذلك التخلي عن كل الإيديولوجيات المقحمة في النصوص الأدبية أو الأعمال النقدية.

2- الدراسة البنيوية تعتبر الأدب ظاهرة قائمة في لحظة معينة تمثل نظاما شاملا، وذلك يصبح العمل الأدبي بنية كلية ذات نظام خاص، وتخليل هذه البنية يعني إدراك العلاقات الداخلية في النص ودرجة ترابطها والعناصر المنهجية فيها وتركيبها بهذا النمط الذي تؤدي به وظائفها الجمالية، ومن هنا نصل إلى أن العنصر الجوهري في الأدب لا يرتبط بالسياقات الخارجية وإنما يرتبط بأدبية النص الأدبي التي تجعله أدبا.

لقد عنى النقاد البنيويون كثيرا بأدبية النص الأدبي أو شعرية النص الأدبي ونذكر منهم الباحث والعالم رومان جاكبسون بنظريته حول التواصل في اللغة والتي قسمتها إلى ست وظائف، طبقا لمنظومة (المرسل، المرسل إليه، القناة، الشفرة)، وأبرز هذه الوظائف هي الوظيفة الشعرية المتعلقة بالنص الأدبي.

وكانت هذه الخطوة جبارة في تخليص النقد الأدبي ليصبح علما للأدب فمهمة الناقد ليست في اختبار مدى مصداقية الكاتب، إنما أصبحت مهمته تتمثل في اختيار لغة الكتابة الأدبية فيرى مدى تماسكها وتنظيمها المنطقي والرمزي ومدى قوتها أو ضعفها.

أصبحت البنيوية نظرية في ظاهرة الإبداع الأدبي والتي خدمتها كثيرا الفلسفة الظاهراتية التي مشت موازية لها، هذه الفلسفة التي اهتمت بالأشياء وما يتجلى عنتها من جوانب للإدراك في لحظة معينة أي التفكير المنطقي العلمي في العصر الحديث.

يمثل علم اللغة المنبع الحقيقي للمصطلحات التي استخدمتها البنيوية في مجال النقد الأدبي، ومن بين هذه المصطلحات نذكر: البيئة.

مصطلح البيئة:

لقد نشأ هذا المصطلح في علم النفس موازيا لفكرة الجشطالت أو الإدراك الكلي، كما نشأ أيضا في الأنثروبولوجيا لإدراك نظم العلاقات في المجتمعات البدائية والإنسانية بصفة

أ.د سعدية بن ستيتي

عامة، ونشأ مصطلح البنية أيضا علم اللغة، وأصبح ضروريا استعماله في النقد الأدبي. ومن أبرز النقاد الذين أعطوا المنطلق الأول لهذا المصطلح نذكر " رولان بارث".

وفي البداية شب خلاف حول مفهوم البنية هل البنية تتمثل في الهيكل المادي الذي نراه؟ أم هي تصور ذهني؟.

والتصور الذهني هو ذلك العالم الذي نخلقه بعقولها، فيدرك العقل آنذاك طبيعة هذا الهيكل المادي، وبهذا انتصر مفهوم البنية باعتباره تصورا ذهنيا أكثر مما هو علاقات محسوسة مادية.

وينذرج عن مفهوم البنية عدة قضايا منها:

– أن الأعمال الأدبية تمثل أبنية كلية، لأن دلالتها ترتبط بالطابع الكلي لها فالبنية الكلية تتبني على مجموعة بنى جزئية ومن خلال العلاقات المثالة بينها نصل إلى التصور الكلي لبنية النص وكمثال: البنية الدلالية للقصيدة الشعرية هي محصلة مجموعة من البنى المتمثلة في: البنية الإيقاعية، البنية التركيبية والتعبيرية، البنية التخييلية. التي تصل إلى ذروتها في المستوى الرمزي الكلي.

وهذه البنى لا تتخذ بأبيات معينة في القصيدة بل هي ماثلة في كل بيت ليتجسد لنا بذلك مفهوم البنية الكلية.

كذلك الأمر بالنسبة للرواية مثلا، فهي تتكون من ف صول (1، 2، 3 ...) وهي أجزاء خارجية لكن هناك أبنية عميقة تتمثل في: بنية الأصوات وهي تختلف عن الشخصيات (أصوات فاعلة وأخرى غير فاعلة)، ثم بنية الزمان الذي تدور فيه الأحداث فتقوم فغيه الفواعل بأدوارها، ثم بنية الخطاب السردي ذاته المتمثل في مستويات اللغة من سرد وحوار وحوارية وغيرها.

وهذه البنى بطبيعتها لا تتموقع في جزء معين من الرواية، بل هي سارية عبر كل مواقع النص الأدبي، فالبنية الكلية تتركب من طبيعة الشبكة المتداخلة والمتراتبة والمنظمة في هذه البنى الجزئية.

لقد أطلق البنيويون شعار "موت المؤلف" ليضعوا حد التيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب ونقده، وركزوا على النص بدلا من مؤلفه.

أ.د سعدية بن ستيتي

وقد قصدوا بهذا الشعار ألا تصبح بيانات المؤلف جوهر لدراسة النقدية للأدب بل يجب أن تكون نقطة الارتكاز على النص ذاته.

ومن خلال هذا الشعار المبالغ فقيه، عيب على البنيوية أنها تهدف إلى خلع الأعمال الأدبية جذورها.

لكن البنيوية كانت تصبو من خلال هذا الشعار إلى اهتمام النقاد بالنص من خلال توجيه السياقات لخدمة النص وليس العكس.

إن المنطلق الأساسي للبنيويون في تحليلاتهم النقدية يتمثل في اعتبارهم النص الأدبي مجموعة من العلامات تخضع لقوانين التراتب والتبئير أي هيمنة عنصر على حساب بقية العناصر باعتبار "ممكن بؤرة النص الدلالية والفعالية والوظيفية"، وبذلك اتسع تطبيق المنهج البنيوي في كل الأجناس الأدبية ولمن يرتبط بجنس أدبي معين، كمنا حدث في المناهج السياقية كالمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي وغيرهما....

أهم أعلام البنيوية = رولان بارث، أعضاء الشكلانية الروسية، ليفي ستراوس. للمزيد عن النقد البنيوي ارجعوا إلى مؤلفات هؤلاء لتتمكنوا من تطبيق الرؤية البنيوية على النصوص الأدبية.

المراجع:

- تيري إيجلتون: مقدّمة في نظرية الأدب، ترجمة: أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، سبتمبر 1991.
- جان بياجييه: البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، ط1، بيروت/لبنان، 1971.
- جوناثان كلر: الشعرية البنيوية، ترجمة: السيّد إمام، دار شرقيات، ط1، القاهرة/مصر، 2000.
- الزواوي بغورة: المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- سمير حجازي: مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سورية/ لبنان، 2004.
- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1996.
- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998.
- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، عدد 232، الكويت، 1998، ص 163.
- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري، القاهرة، 1999، ص 39.
- Ferdinand de Saussure: Cours de linguistique générale, édition : Talantikit, Bejaia, Algérie, 2002.

أ.د سعدية بن ستيتي